العقوبات والعذاب

جمع
فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ

حقوق الطبع والنشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...أما بعد: فمن رحمة الله عز وجل بعباده أن أرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين, كما قال سبحانه وتعالى: (**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين**) [الأنعام:٤٨] يبشرون من أطاع الله واتبعهم بالجنة والرضوان, وينذرون من عصى الله وخالفهم بالعذاب والعقاب.

والعذاب أنواع، منه ما يكون في الدنيا، ومنه ما يكون عند الموت وخروج الروح، ومنه ما يكون في القبر، ومنه ما يكون في الآخرة، ومنه ما يكون فيها جميعًا، ومنه ما يكون حسيًّا في البدن، ومنه ما يكون معنويًّا في القلب والنفس، ومنه ما يكون عليهما جميعاً, نسأل الله الكريم الرحيم لنا، ولعموم المسلمين السلامة من جميع أنواع العذاب.

وبعد فهذه مباحث يسيرة عن العقوبة والعذاب, أسأل الله الكريم أن ينفعني وجميع إخواني المسلمين بها.

أنواع العقوبة والعذاب في الدنيا

عذاب الدنيا _ نسأل الله السلامة والعافية منه _ أصناف وأنواع, فمنه:

العذاب القلبي والألم النفسي:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: أشدُّ الناس عذابًا قلبيًّا وقَلَقًا هم الكُفَّار، وكلما كان الإنسانُ أعصى لربِّه كان أشدَّ قَلَقًا وأقلَّ راحةً، وكُلَّما كان أشدَّ إيمانًا وعملًا صالحًا كان أشدَّ طُمَأْنينةً, وقال : الكفرة من الغربيين وغير الغربيين لا تظنوا أنهم في نعيم, والله إنهم في جحيم, قلوبهم الآن ملأى من الجحيم, مهما زانت لهم الدنيا فهم في جحيم. وقال: الكافر مهما نعم في الدنيا فإنه في ألمٍ وعذاب في قلبه, لأن الكافر لا يشبع من الدنيا فهو في خزن خوفاً من ذهاب الموجود وفي همٍّ طلباً لوجود المفقود

الإعراض عن دين الله:

قال الله عز وجل: (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون) [الأنعام:٤٧] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: التحذير من نزول العذاب إما بغتة وإما جهرة, فلا يأمن الإنسان إذا كان عاصياً أن ينزل به العذاب, لكن أيظن أن العذاب هو عقوبة الجسد فقط, فرغم أن عقوبة الجسد عذاب في حد ذاتها إلا أنه هناك ما هو أكبر منها, وهو الإعراض عن دين الله عز وجل, كما قال تعالى: (فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) [المائدة:٤٩]

الحدود:

قال عز وجل: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) [السجدة:٢١]قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: يعني به إقامة الحدود عليهم

زوال النعم:

قال الله عز وجل: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) [إبراهيم:٧]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها, (ولئن كفرتم) أي: كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها. (إن عذابي لشديد) وذلك بسلبها عنهم, وعقابه إياهم على كفرهم, وقد جاء في الحديث: (إن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه)

المصائب في البدن والأهل والمال:

قال الله سبحانه وتعالى:(ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) [المؤمنون:٧٦]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي: ابتليناهم بالمصائب والشدائد (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة, بل استمروا على غيهم وضلالهم, وما استكانوا, أي: ما خشعوا.

وقال عز وجل: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) [السجدة:٢١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالعذاب الأدنى: مصائب الدنيا, وأسقامها, وآفاتها, وما يحلّ بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: ما يصيبُ الإنسان من المصائب في بدنه وأهله وماله...من العذاب.

—

أسباب العقوبات العامة

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس! إنكم تقرأون هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)[المائدة:١٠٥]وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعذاب منه)[أخرجه الترمذي, وقال: هذا حديث صحيح] قال ابن العربي رحمه الله: الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته, ومنها ما يمهل بها إلى الآخرة, والسكوت على المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات.

قال الله: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) [الأنفال: ٢٥] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في رواية عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب. وهذا تفسير حسن جداً. وقال العلامة السعدي رحمه الله: بل تصيب فاعل الظلم وغيره وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير, فإن عقوبته, تعم الفاعل وغيره. وتتقى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر وقمع أهل الشر والفساد, وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه, ثم تدعونه فلا يستجب لكم) [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن]

قال المباركفوري: والمعنى والله, أنَّ أحد الأمرين واقع, إمّا الأمر والنهي منكم, وإمّا إنزال العذاب من ربكم, ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم, بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان, فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب, وإن لم يكونا كان عذاب عظيم.

وعن أبي بكر رضي الله عنه, قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا المنكر, ولا يغيرونه, أوشك أن يعمهُمُ الله بعقابه) [أخرجه أحمد, وصححه الألباني برقم (١٩٧٤) في صحيح الجامع]

وعن عبيدالله بن جرير عن أبيه رضي الله عنه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي, هُم أكثرُ وأعزُّ ممن يعملُ بها, ثم لا يغيرونه, إلا يوشك أن يعُمهم الله بعقاب.) [أخرجه أبو داود, وصححه الألباني برقم (٣٣٥٣) في السلسلة الصحيحة]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بحسب القدرة, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[أخرجه مسلم]

ولا يشترط في من يأمر بالمعروف أن يكون كامل الحال, قال الإمام النووي: قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهي عنه بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به, والنهي وأن كان متلبساً بما ينهى عنه, فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه فإذا أخلَّ بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله, والواقع فيها, كمثل قوم استهموا على سفينةٍ, فأصاب بعضهم أعلاها, وبعضهم أسفلها, فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم, فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً, ولم نؤذ من فوقنا, فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً, وإن أخذوا على أيديهم نجوا, ونجوا جميعاً.) [متفق عليه]

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: الناس إن تركوا هؤلاء السفهاء ومعاصيهم هلكوا جميعاً, وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه, وإلا هلك العاصي بالمعصية, والساكت بالرضا بها, وفيه: استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف.

كثرة وشيوع الذنوب والمعاصي:

قال الله:(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم) [النور:١٤] قال العثيمين رحمه الله: من فوائد الآية أن شيوع المعصية بين الناس سبب للعقوبة العامة لقوله:(لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم) [أخرجه أبو داود, وأحمد, وصححه الألباني برقم (٥٢٣١) في صحيح الجامع] قال في النهاية: لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبون العقوبة.

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهلك وفينا الصالحون ؟ فقال: (نعم إذا كثر الخبث) [متفق عليه] قال الإمام النووي رحمه الله: ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام.

وقال العلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز رحمه الله: يعني إذا كثرت المعاصي عمَّ الهلاك ولا حول ولا قوة إلا بالله

ومن المعاصي التي ينبغي عدم التساهل فيها: الربا, والزنا, فظهورهما في المجتمع إيذان بنزول العقوبة به, فعن ابن عباس رضي الله عنهما, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ظهر الزنا والربا في قريةٍ, فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله) [أخرجه الطبراني, والحاكم, وصححه العلامة الألباني, في صحيح الجامع برقم (٦٧٩)]

ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالناس عندما خسفت الشمس, ثم انصرف, وخطبهم, وكان مما قال: (يا أمة محمد والله ما من أحد أغيرُ من الله, أن يزني عبده أو تزني أمته) [متفق عليه]

قال الشيخ عبدالرحمن بن صالح الدهيش: خصّ الزنا في هذه الخطبة, إشارة إلى أن وقوع الزنا, والتساهل فيه, من أسباب عذاب الله عز وجل, فإذا وجد الزنا في المجتمع فإن هذا سبب مؤذن لعقوبة الله عز وجل العقوبة العامة التي تشمل من وقع فيه, ومن لم يقع فيه لكنه سكت عليه, وأقرَّه وتغاضى عنه.

ترك الجهاد في سبيل الله:

وعن أبي بكر رضي الله عنه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب) [صححه الألباني برقم (٢٦٦٣) في السلسلة الصحيحة, وقال: أخرجه الطبراني في الأوسط]

وينبغي عدم الأمن من عذاب الله لوجود أناس صالحين في المجتمع, فقد تأتي العقوبة مع وجودهم, فعن عائشة رضي الله عنها, قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ظهر السوء في الأرض, أنزل الله بأسه بأهل الأرض, وإن كان فيهم قوم صالحون, يصيبهم ما أصاب الناس, ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته) [أخرجه الإمام أحمد في المسند, وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٣٧٢)]

وعن عائشة رضي الله عنهما قالت: يا رسول الله ! إن الله إذا أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم ؟ فقال: (يا عائشةُ ! إنَّ الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون, فيصابون معهم, ثم يبعثون على نياتهم) [أخرجه ابن حبان, وصححه الألباني برقم (٢٦٩٣) في السلسلة الصحيحة]

استعجال الْعَذَابِ

المكذبون للرسل لجهلهم وظلمهم وعنادهم، يطلبون تعجيل العذاب لهم في الدنيا؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ [العنكبوت: ٥٣]؛ قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: يستعجلون بالعذاب لا أنهم يريدون العذاب، بل يستعجلونه تحديًا.

فقوم نوح، دعاهم نبيهم إلى عبادة الله وحده لا شريك، وخاف عليهم نزول العذاب؛ قال الله عز وجل: ﴿ لَقَد أَرسَلنا نوحًا إِلى قَومِهِ فَقالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلـهٍ غَيرُهُ إِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وبعد دعوتهم بالترغيب والترهيب، طلبوا منه أن يأتيهم بما وعدهم به من العذاب؛ قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ قالوا يا نوحُ قَد جادَلتَنا فَأَكثَرتَ جِدالَنا فَأتِنا بِما تَعِدُنا إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ ﴾ [هود: ٣٢]، قالوا ذلك تعنتًا وتكبرًا، فجاءهم العذاب الذي أهلكهم وأغرقهم؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وقال جل وعلا: ﴿ فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ *وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١١-١٢]

وقال العلامة السعدي رحمه الله: فجُعلت السماء ينزل منها الماء، شيء خارق للعادة، وتفجرت الأرض كلها، حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلًا عن كونه منبعًا للماء؛ لأنه موضع النار، ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾؛ أي: ماء السماء والأرض، ﴿ عَلَى أَمْرٍ ﴾ من الله له بذلك، ﴿ قَدْ قُدِرَ ﴾؛ أي: كتبه الله في الأزل وقضاه عقوبةً لهؤلاء الظالمين الطاغين.

وقوم عاد أنذَرهم نبيُّهم هود عليه الصلاة السلام، بوقوع العذاب إن لم يستجيبوا له في عبادة الله وحده لا شريك له، فطلبوا منه أن يأتيهم به؛ كما قال الله عز وجل عنهم: ﴿ واذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢١-٢٢]، فأرسل الله الريح التي دمَّرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، وهم الذين كانوا يقولون: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[فصلت: ١٥]

وقوم ثمود، دعاهم نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال عز وجل: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقد أرسل الله لهم آية تدل على صدق نبيهم، كما طلبوا، وهي الناقة التي خرجت من الصخرة، وطلب منهم ألا يتعرضوا لها بسوء، فنحروها، وطلبوا من صالح أن يأتيهم بالعذاب إن كان من رسل الله حقًّا؛ قال الله عز وجل: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوا عَن أَمرِ رَبِّهِم وَقالوا يا صالِحُ ائتِنا بِما تَعِدُنا إِن كُنتَ مِنَ المُرسَلينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]، فجاءهم العذاب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجفَةُ فَأَصبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: .فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنَّطوا، وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه، عياذًا بالله من ذلك، لا يدرون ماذا يفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة، ﴿ فَأَصبَحوا في دارِهِم جاثِمين ﴾؛ أي: صرعى لا أرواح فيهم ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير.

وقوم لوط،

وعَظهم نبيُّهم لوط عليه السلام، وحذَّرهم من فاحشة اللواط، وبدل أن يستجيبوا له ويتركوا هذه الفاحشة الشنعاء، طلبوا منه أن يأتيهم بالعذاب قال عز وجل ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٢٩]، فقلَب الله عليهم ديارَهم، فجعل عاليها سافلها.

وقوم شعيب،

وعَظهم نبيُّهم شعيب عليه السلام، وأمرهم بإتمام الكيل عند بيعهم للناس، وعدم الإفساد في الأرض بالمعاصي، فطلبوا منه أن يسقط عليهم حجارة من السماء، قال الله عز وجل: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[الشعراء: ١٨٥-١٨٧]، فلما قال هؤلاء الجهلة ما قالوا، وكذبوا رسولهم، جاءهم العذاب، قال الله عز وجل:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٨٩]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حرٌّ عظيم لمدة سبعة أيام لا يكنهم منه شيء، ثم أقبلت عليهم سحابة أظلتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بها من الحرّ، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررًا من نار ولهبًا ووهجًا عظيمًا، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

وقوم قريش، طلبوا من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، إن كان صادقًا أن تمطر السماء عليهم حجارة، قال عز وجل: ﴿ وَإِذ قالُوا اللَّهُمَّ إِن كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِن عِندِكَ فَأَمطِر عَلَينا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائتِنا بِعَذابٍ أَليمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قالوا ذلك مبالغة في الإنكار، وقد دفع الله عنهم العذاب لوجود الرسول عليه الصلاة والسلام بينهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم وَأَنتَ فيهِم وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُم وَهُم يَستَغفِرونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، والله عز وجل عندما أخبرنا في القرآن الكريم بعذاب الأمم السابقة، وسبب عقوباتهم، كان الغرض أخذ العبرة والعظة، والبعض من الناس قد يستعجل نزول العذاب به، بلسان حاله، وليس بلسان مقاله، فالمعاصي والذنوب من أسباب العذاب والهلاك الذي يحل بالعباد والبلاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

فلنكن على حذر ووجلٍ ولنتجنب كلَّ ما يستوجب نزول عذاب الله وعقابه، قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

تأخير العقوبة والعذاب للإمهال والاستدراج

قال الله سبحانه وتعالى: (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) [المؤمنون:٥٥-٥٦]

وقال الله جل وعلا: (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين) [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا رأيت الله يُعطي العبدَ من الدنيا على معاصيه ما يُحبُّ، فإنما هو استدراج))، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

قال الله عز وجل: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)[آل عمران:١٧٨]

قال العلامة السعدي رحمه الله: الله تعالى يملي للظالم حتى يزداد طغيانه, ويترادف كفرانه, ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر, فليحذر الظالمون من الإمهال.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: من فوائد الآية أنه يجب على الإنسان أن لا يظن أن إمهال الله له خيراً له...فالله عز وجل بحكمته قد يستدرج بعض الخلق, فيعطيه النعم تترا وهو متجاوز لحدوده ليبلغ في الطغيان غايته حتى إذا أخذه لم يفلته كما قال النبي علية الصلاة والسلام (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) وتلا قوله تعالى: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) [هود:١٠٢]

بغتة العذاب

قال الله عز وجل: (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) [الحج:٥٥] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (بغتة) بغت القوم أمر الله, وما أخذ الله قوماً إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم, فلا تغتروا بالله, إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.

وقال الله عز وجل: (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) [الزمر: ٥٥] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله تعالى: (وأنتم لا تشعرون) أي: لا تحتسبون أن يقع بكم العذاب, لأنكم غافلون, وليس عندكم شعور, وهذا كقوله تعالى: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ* أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف: ٩٧-٩٩] والغالب أن من انهمك بالمعاصي نسِي الخالق ونسِي العذاب, فيأتيه العذابُ وهو أشدّ ما يكون انغماساً في المعاصي والترف.

قال الله عز وجل: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) [الأنعام:٤٤] قال العلامة العثيمين رحمه الله: الإنسان قد يأتيه بغتة, فبينا هو في نعيمه وسروره في الدنيا منغمساً في معاصي الله إذ بالعذاب يأتيه بغتة, وسواء كان هذا العذاب عاماً شاملاً أو كان خاصاً, فقد يبتلى بمرض, أو بحوادث تكسره وتحطمه أو بموت عاجل, ولهذا قال: (أخذناهم بغتة) أي: أَخذَ بغتة, أي: مباغت, والمباغت هو الشيء الذي لا يتوقعه الإنسان فيقع من غير توقع له.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: (فلما نسوا ما ذ كروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من الدنيا ولذاتها وغفلاتها (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) أي: آيسون من كل خير, وهذا أشدّ ما يكون من العذاب, أن يؤخذوا على غيرة, وغفلة وطمأنينة, ليكون أشد لعقوبتهم وأعظم لمصيبتهم.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (وليأتينهم بغتة) [العنكبوت:٥٣] هذه صفة وقوع العذاب, ففيه تهديد وتحذير, أي: فاحذروا أن يأتيكم.

فإن أردنا السلامة من العذاب فلنكن وجلين خائفين من عذاب الله وعقابه, فمن خاف سلِمَ, قال الله عز وجل: (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) [الطور:٢٥_٢٦] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه.

وخوفنا من الله يستلزم أن نترك الذنوب, قال عز وجل: (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) [المعارج:٢٧] قال العلامة السعدي رحمه الله: أي: خائفون وجلون, فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله.

فلنبادر عاجلاً بالتوبة والإنابة, قال الله عز وجل: (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) [الزمر: ٥٤]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية: الحذر من نزول العذاب عند المخالفة, لقوله تعالى: (من قبل أن يأتيكم العذاب) فلا أحد يأمن عذاب الله تعالى, فأنت إذا لم تتُب إلى الله تعالى مُبادرة فإن العذاب ربما ينزل بك, وإذا نزل العذاب من عند الله تعالى فلا أحد يمنعه لقوله تعالى: (ثم لا تنصرون)

العذاب عند الموت

قال الله عز وجل: (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) [الأنفال: ٥٠]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمراً عظيماً هائلاً منكراً.

وقال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: يقول تعالى: ولو ترى الذين كفروا بآيات الله, حين توفاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم, وقد اشتد بهم القلق وعظم كربهم. و (الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم, ونفوسهم ممتنعة مستعصية على الخروج, لعلمها ما أما مها من العذاب الأليم.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: الكافر إذا بُشِّر بما يسوءه – والعياذ بالله– عند الموت كره لقاء الله, وهربت نفسه, وتفرقت في جسده, حتى ينتزعها منه كما يُنتزعُ السفُّود من الشعر المبلول, والشعر المبلول إذا جُرَّ عليه السفُّود – وهو معروف عند الغزالين – يكادُ يُمزقُهُ من شدة سحبه عليه.

وهكذا روح الكافر – والعياذ بالله – تتفرق في جسده, لأنها نُبشِّرُ بالعذاب فتخاف ولهذا يوجد بعضُ الناس– والعياذ بالله– يُسوَّدُ وجهُهُ, ولونه في الحياة أحمر.

وحدثني من أثقُ به – وأقسم لي أكثر من مرة – وهو ممن يباشرون تغسيل الموتى, يقول : والله مرَّت عليَّ حالتان لا أنساهما أبداً, غسلت اثنين بينهما زمن, يقول: الوجه أسود مثل الفحم – والعياذ بالله – والبدنُ طبيعي, لأنه يُبشر بما يسوءه, والإنسان إذا بُشِّر بما يسُوءه تغير.

عذاب القبر

قال الله عز وجل: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) [السجدة:٢١] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به: عذاب القبر.

فهذه القبور قد يغر البعض سكونها, فيظن أن لا حراك فيها وساكنيها بين ناعم في نعمته يتدلل يقول: ربِ أقم الساعة, وبين معذب في سكراته يتقلب يقول: ربِ لا تقم الساعة, فالقبر إما روضة من رياض الجنان نسأل الله الكريم أن نكون من أهل تلك الجنان, وإما حفرة من حفر النيران نسأل الله السلامة منها, ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبرين فقال: (إنهما ليعذَّبان وما يُعذبان في كبير, أما أحدهما فكان لا يستتر من البول, وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) ثم دعا بجريدة رطبة, فشقها نصفين, فقال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)وفي الصحيحين عن أبي أيوب رضي الله عنه, قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم, وقد وجبت الشمس, فسمع صوتاً, فقال: (يهود تعذب في قبورها)

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد ذكر بعضهم السرَّ في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر, وهو أن القبور أول منازل الآخرة, وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصي التي يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حق الله, وحق العباد, وأول ما يقضي فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة, ومن حقوق العباد الدماء, وأما البرزخ فقضى فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما, فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث, ومقدمة الذكاء النميمة والوقيعة في الأعراض, وهما أيسر أنواع الأذى, فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

—

وما يجري من عذاب لأهل القبور تسمعه البهائم, ففي صحيح ابن حبان, عن أم البشر قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (تعوذوا بالله من عذاب القبر) فقلت: يا رسول الله وللقبر عذاب ؟ قال: (إنهم ليعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: قال بعض أهل العلم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت[مغص يأخذ الدواب عن أكل التراب] إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالإسماعلية والنصيرية والقرامطة وغيرهم...فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعاً وحرارةً تذهب بالمغل.

والله عز وجل أخفى عن عباده ما يحدث داخل تلك القبور, ليتميز المؤمن بالغيب عن غيره, قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها عيباً, وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته, وليتمَّيز المؤمنون بالغيب من غيرهم,

وأخفى ما يحدث داخل القبور رحمة بعباده, ففي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)

ولكنه سبحانه وتعالى يطلع من شاء من عباده على شي مما يحدث داخل القبور, قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الأبدان التي في القبور تنعم وتعذب_ إذا شاء الله ذلك_ كما يشاء...وقد انكشف لكثير من الناس ذلك, حتى سمعوا صوت المعذبين في قبورهم...في آثار كثيرة معروفة.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: إذا شاء الله سبحانه أن يُطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه, وغيبه عن غيره.

—

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد كشف الله لمن شاء من عباده من عذاب أهل القبور ونعيمهم, وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: عذاب القبر أو نعيم القبر أمر لا يُطَّلعُ عليه, هذا هو الأصل, لكن قد يُطلِعُ الله عليه من شاء من عباده, وقال: فإنه قد يُكشفُ لبعض الناس عن عذاب القبر, واسأل الذين يكونون ليلاً عند القبور تسمع عنهم ما يُعجِّبُ, فأحيانا يسمعون صياحاً عظيماً, وإفظاعاً وأهوالاً, وقال الشيخ صالح الفوزان: وقد يشاهد بعض الناس ما يحصل من عذاب القبر من أجل العظة والعبرة, وقال الشيخ سعد ناصر الشثري: فإن قال قائل: هل يمكن أن يطلع بعض الناس على عذاب القبر ؟ فنقول: لا يمتنع أن يطلع بعض الناس على مثل هذا وقال الشيخ عبدالرحمن البراك: وقد يكشف الله لبعض الناس شيئاً من أحوال القبور كما تواترت الأخبار, فيكشف أحياناً لبعض الناس أشياء: إما أمور مسموعة, أو أمور مرئية

ومما ذكره أهل العلم مما كشفه الله لمن شاء من عباده لأحوال أهل القبور ما يلي:

* قال الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه: " تاريخ بغداد " في ترجمة: محمد بن مخلد الدوري العطار (ت٣٣١) رحمه الله, قال: ماتت والدتي, فأردت أن أدفنها في مقبرة درب الريحان, فنزلت ألحدها أنا, فانفرجت لي فرجه عن قبر بلزقها, فإذا رجل عليه أكفان جُدد, على صدره طاقة ياسمين طرية, فأخذتها فشممتها, فإذا هي أزكى من المسك, وشمها جماعة كانوا معي في الجنازة, ثم رددتها إلى موضعها, وسددت الفرجة.

* قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه: " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " في حوادث سنة ست وسبعين ومائتين: انفرج تل فيه سبعة أقبر, فيها سبعة أبدان صحيحة, عليها أكفان جدد لينة...تفوح منها رائحة المسك.

* قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في " البداية والنهاية " في حوادث سنة (٣٠٤هـ) وفيها ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قد قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماؤهم في رقاع مربوطة في آذانهم وأجسادهم طرية كما هي

* قال العثيمين رحمه الله: حدثني بعض الناس أنهم في هذا البلد هنا في (عنيزة) كانوا يحفرون لسور البلد الخارجي فمروا علي قبر فانفتح اللحد فوجد فيه ميتا قد أكلت كفنَه الأرض وبقي جسمه يابساً لكن لم تأكل منه شيئاً حتى إنهم قالوا إنهم رأوا لحيته وفيها الحنا وفاح عليهم رائحة كأطيب ما يكون من المسك فتوقفوا وذهبوا إلى الشيخ وسألوه فقال: دعوه على ما هو عليه واجنبوا عنه واحفروا من يمين أو من يسار.

هذا وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله حوادث في ذلك, في كتابه: " الروح", كما ذكر مثل ذلك الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه: : أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور " في الباب السادس: في ذكر عذاب القبر ونعيمه,

وقد ذكره أهل العلم أن كل من مات, وفارقت روحه جسده, فإنه إما في نعيم, وإما في عذاب, دُفن في قبر, أو لم يدفن, كمن أحرق وذُرَّ, أو رُمي في بحر, ونحو ذلك.

إن التفكر في تلك القبور والاتعاظ بحال أهلها, يدفع الإنسان أن يخاف أن يكون من المعذبين فيها, وهذا الخوف يدفعه للعمل الصالح ليكون من المنعمين فيها, فلنجاهد أنفسنا جميعاً لنكون من المنعمين الفائزين, ولنسلم من عذاب القبر ووحشته وضغطته فضغطة القبر لا يسلم منها أحد, لا المسلم, ولا غير المسلم, لكن الإيمان والعمل الصالح يخففها, قال أهل العلم: ضمة القبر للمؤمن كضمة الحبيب للحبيب, يصل منها بعض الأذى ولكنها ضمة حبيب لحبيب, وضمة القبر للكافر ضمة بغض وعذاب...ففرق بين تلك الضمة وتلك الضمة.

ومن كان محباً لله عز وجل, متقياً له, فإن الله عز وجل بكرمه وجوده وفضله يؤنس وحشته في قبره, قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: العارفون بالله, المحبون له, المنقطعون إليه في الدنيا, والمستأنسون به دون خلقه, فإن الله بكرمه وفضله لا يخذلهم في قبورهم بل يتولاهم, ويؤنس وحشتهم.

وعذاب القبر له أسباب ينبغي تجنبها والبعد عنها, قال الإمام ابن القيم رحمه الله: قول السائل: ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور؟ فجوابها وجهين: مجمل, ومفصل.

أما المجمل: فإنهم يعذبون على جهلهم بالله, وإضاعتهم لأمره, وارتكابهم لمعاصيه, فلا يعذب الله روحاً عرفته, وأحبته, وامتثلت أمره, واجتنبت نهيه, ولا بدناً كانت فيه أبداً, فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثرُ غضب الله وسخطه على عبده, فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار, ثم لم يتب, ومات على ذلك, كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه, فمستقل ومستكثر, ومصدق ومكذب.

ثم قال: ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذَّبين, والفائز منهم قليل, فظواهر القبور تراب, وبواطنها حسرات وعذاب, ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات, وفي باطنها الدواهي والبليات, تغلي بالحسرات, كما تغلى القدور بما فيها, ويحق لها, وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها.

تالله لقد وعظت, فما تركت لواعظ مقالاً, ونادت: يا عمار الدنيا لقد أعمرتم دار موشكة بكم زوالاً, وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً, عمَّرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسُكناها, وخربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها, هذه دار الاستيفاء, ومستودع الأعمال, وبيدر الزرع, هذه محل العبر.

عذاب يوم القيامة

قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [الحج:١-٢]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) أي: أمر عظيم, وخطب جليل وطارق مفظع وحادث هائل وكائن عجيب والزلزال هو ما يحصل للنفوس من الرعب والخوف. (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ) أي: فتنشغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها, والتي هي من أشفق الناس عليه, تدهش عنه في حال إرضاعها له, ولهذا قال: (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) ولم يقل مرضع, (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أي: عن رضيعها قبل فطامه, وقوله: (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا) أي: قبل تمامه لشدة الهول.(وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ) أي من شدة الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم, وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى (وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

من ألوان العذاب في الآخرة

الألم البدني:

قال الله عز وجل: (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما) [النساء:٥٦]

وقال الله عز وجل: (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) [الحج:١٩-٢٢]

وقال عز وجل: (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) [محمد:١٥]

وقال عز وجل:(إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما) [النساء:٥٦] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال الأعمش عن ابن عمر: إذا احترقت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها.

وهذا العذاب ليس فيه تخفيف, قال الله عز وجل: (فلا يخفف عنهم العذاب) [البقرة:٨٦]. قال العلامة السعدي رحمه الله: باق على شدته, ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات. وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: أي: لا يهوَّن عنهم لا زمناً, ولا شدة, ولا قوة.

وقال عز وجل: (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) [النحل: ٨٥] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: لا يفتر عنهم ساعة واحدة.

الألم النفسي:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: عذاب...الكفار عذاب مؤلم ألماً نفسياً, دليله قوله تعالى: (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) [المؤمنون:١٠٨] وقال الله عز وجل: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) [السجدة:٢٠] وهذا ألم قلبي يحصل بتوبيخهم

قال الله عز وجل: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) [الحج:٢٢] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: (وذوقوا عذاب الحريق) كقوله: (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً.

وقال الله عز وجل: (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) [البقرة:١٦٦] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية: أن الله سبحانه وتعالى يجمع يوم القيامة بين الأتباع والمتبوعين توبيخاً, وتنديماً لهم, ويتبرأ بعضهم من بعض, لأن هذا – لا شك – أعظم حسرة إذا صار متبوعه الذي كان يعظمه في الدنيا يتبرأ منه وجهاً لوجه

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [البقرة:١٧٤] وذلك لأنه غضبان عليهم لأنهم كتموا وقد علموا, فاستحقوا الغضب, فلا ينظر إليهم, ولا يزكيهم أي: يثني عليهم ويمدحهم.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: من فوائد الآية: غلظ عقوبة هؤلاء بأن الله تعالى لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكيهم والمراد كلام الرضا وأما كلام الغضب فإن الله تعالى يكلم أهل النار, كما قال تعالى: : (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) [المؤمنون:١٠٨]

وقال الله عز وجل: (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) [الحج:٥٧] قال العلامة السعدي رحمه الله: كما استهانوا برسله وآياته, أهانهم الله بالعذاب.

وقال الله عز وجل: (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) [الأنعام:١٢٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاءوا به فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله صغار وهو الذلة الدائمة.

أوصاف العذاب في الآخرة:

عذاب الحريق:

قال عز وجل: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق)[آل عمران:١٨١]

قال العلامة السعدي رحمه الله: المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة

عذاب الهون:

قال عز وجل: (فاليوم تجزون عذاب الهون) [الأحقاف:٢٠] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: عذاب الهون: الإهانة والخزي, والآلام الموجعة, والحسرات المتتابعة, والمنازل في الدركات المفظعه أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويفضحكم.

عذاب السموم:

قال الله عز وجل: (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) [الطور:٢٧] قال العلامة السعدي رحمه الله: أي: العذاب الحار, الشديد حره

عذاب أليم:

قال عز وجل: (ولهم عذاب أليم)[البقرة:١٠] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (أليم) أي: موجع. وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (أليم) أي: مؤلم.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: مؤلم لقلبه ولبدنه.

عذاب شديد:

قال عز وجل: (لهم عذاب شديد) [آل عمران:٤] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: العذاب هنا بمعنى العقوبة, والشديد: القوي. يعني العقوبة قوية.

عذاب عظيم:

قال عز وجل: (ولهم عذاب عظيم) [آل عمران:١٧٦] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (عظيم) أي: ذو عظمة,...أي: أنه شيء عظيم عظماً كبيراً.

عذاب مقيم:

قال الله عز وجل: (ولهم عذاب مقيم) [المائدة:٣٧] قال العلامة السعدي رحمه الله: دائم شديد مستمر.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله(ولهم عذاب مقيم) نسأل الله العافية (عذاب مقيم) دائم.

عذاب غليظ:

قال الله عز وجل: (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) [فصلت:٥٠] قال العلامة السعدي رحمه الله: أي: شديد جداً.

عذاب السعير:

قال الله: (كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) [الحج:٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: الحار المؤلم المقلق المزعج.

عذاب مهين:

قال عز وجل: (وللكافرين عذاب مهين) [البقرة:٩٠] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (مهين) أي: ذو إهانة وإذلال, ولو لم يكن من إذلالهم حين يقولون: (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) [المؤمنون:١٠٧] إلا قول الله عز وجل لهم: (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) [المؤمنون:١٠٨] لكفى,...فعذاب أهل النار – والعياذ بالله – عذاب مهين, أي: ذو إهانة, لأنهم يقرعون ويوبخون.

عذاباً نكراً:

قال عز وجل: (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا) [ا لكهف:٨٧] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: شديداً بليغاً وجيعاً أليماً.

عذاب الحميم:

قال الله عز وجل: (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) [الدخان:٤٨] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يصب الحميم على رأسه, فينزل في بدنه, فيسلت ما في بطنه من أمعائه, حتى تمزق من كعبيه, أعاذنا الله تعالى من ذلك.

عذاب الخلد:

قال الله عز وجل: (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) [السجدة:١٤] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: الدائم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قوله تعالى: (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) [المائدة:٣٧] كما قال تعالى: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) [الحج:٢٢] فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه, ولا سبيل لهم إلى ذلك, كلما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردون إلى أسفلها.

ذنوب يعجل لفاعلها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة

النفاق الاعتقادي:

فعذاب المنافقين يكون في الدنيا والآخرة, قال الله عز وجل: (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) [التوبة:٧٤] قال العلامة السعدي رحمه الله: وإن (يتولوا) عن التوبة والإنابة (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه, وإعزاز نبيه, وعدم حصولهم على مطلوبهم, وفي الآخرة في عذاب السعير.

الكفر:

قال الله عز وجل: (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) [آل عمران:٥٦] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: ظاهر الآية الكريمة في الدنيا والآخرة, أنه يحصل لهم العذاب في الدارين.

محبة إشاعة الفاحشة:

قال الله عز وجل: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) [النور:١٩] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: أن من أشاع فاحشة فله عذاب عظيم في الدنيا والآخرة. وقال العلامة السعدي رحمه الله: فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة, واستحلاء ذلك بالقلب, فكيف بما هو أعظم من ذلك, من إظهاره, ونقله.؟!!

الظلم, قطيعة الرحم, الخيانة, الكذب:

عن أبي بكرة رضي الله عنه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا, مع ما يدخره له في الآخرة من البغي, وقطيعة الرحم.) [أخرجه أبو داود, وصححه العلامة الألباني برقم (٥٧٠٤) في صحيح الجامع] وزاد في رواية: الخيانة, والكذب.

التعدي على العباد:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: الذنب إذا كان فيه تعدٍّ على العباد فإن الله قد يجمع لفاعله بين العقوبتين: عقوبة الدنيا, وعقوبة الآخرة, عقوبة الدنيا ليشفي قلب المظلوم المعتدي عليه.

ذنوب عقوباتها أشدُّ من غيرها:

قلة الداعي للذنب:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: العذاب له أعلى وله أدنى, لقوله: (فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) [المائدة:١١٥] فهذا دليل على أن العذاب يتفاوت من شخص لآخر, وتفاوت العذاب أسبابه كثيرة, منها: قلة الداعي إلى الذنب, فإن قلة الداعي إلى الذنب توجب شدة العقوبة عليه, وانظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة, ولا ينظر إليهم, ولا يزكيهم, ولهم عذاب أليم, وهم: أشيمط زان, وعائل مستكبر, ورجل جعل الله بضاعته لا يبيع إلا بيمينه, ولا يشتري إلا بيمينه)

الشاهد الأول: (أشيمط زان) يعني: رجلاً شمطه الشيب, وهذا يدل على ضعف قوته في طلب النكاح, وصغَّرهُ بقوله: أشيمط تحقيرا له, إذاً: زنا الشيخ أعظم عقوبة من زنا الشاب, لأن الداعي في الشيخ أقل.

الشاهد الثاني: (عائل مستكبر) عائل يعني: فقيراً مستكبراً, الفقير يجب أن يعرف نفسه وقدره, فكيف يستكبر ؟ الاستكبار من الغني أهون بلا شك ومتوقع, كما قال الله عز وجل: (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ) [العلق:٦-٧] أي: استغنى عن غيره, وهذا عائل فيستكبر فلذلك اشتدت عقوبته, فكلما قوي السبب في طلب المعصية صارت العقوبة عليها أهون, وكلما ضعف الطلب صارت العقوبة عليها أشد.

إضلال الغير:

قال الله عز وجل: (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) [الأعراف:٣٨] قال العلامة السعدي رحمه الله: من المعلوم أن عذاب الرؤساء, وأئمة الضلال, أبلغ وأشنع, من عذاب الأتباع.

وقال الله عز وجل: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) [النور:١١] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: أن زعماء الشر يعذبون أكثر من مقلديهم, ولهذا قال: (عذاب عظيم) جعله الله عز وجل عظيماً, لأن فاتح الشر والعياذ بالله كُلُّ من عمل بشره فعليه وزره....ولهذا قال: (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)

قال العلامة السعدي رحمه الله: (يضاعف لهم العذاب) [هود:٢٠] أي: يغلظ ويزداد, لأنهم ضلوا أنفسهم, وأضلوا غيرهم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سنَّ سُنة سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) [أخرجه مسلم] قال الإمام النووي رحمه الله: من سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها إلى يوم القيامة...سواء كان ذلك الضلال هو الذي ابتداه, أم كان مسبوقاً إليه, وسواء كان ذلك تعليم علم, أو عبادة, أو أدب, أو غير ذلك. قوله صلى الله عليه وسلم: (فعمل بها بعده) معناه: ان سنها سواء كان العمل في حياته أو بعد موته, والله أعلم.

ومن أضلَّ غيره في الدنيا فسوف يدعو عليه يوم القيامة بمضاعفة العذاب واللعن, قال الله عز وجل: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) [الأحزاب: ٦٧-٦٨] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية: بيان شدة بُغض هؤلاء الأتباع للمتبوعين, يعني: أنهم دعوا أن الله تعالى يُضاعف عليهم العذاب ويلعنهم أيضاً, وليس لعنا قليلاً, بل كثيرا وكبيراً أيضاً.

الجمع بين الشرك والقتل والزنا:

قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) [الفرقان:٦٨-٦٩] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وإنما ضُوعف له العذاب لأنه فعل ثلاثة أسباب للعذاب, وهي: الإشراك بالله, وقتلُ النفس, والزنا, ومعلوم أن الأسباب إذا اجتمعت صار لكل واحد منها أثره, فمن فعل شيئاً واحداً من ثلاثة فعليه إثمه, ومن فعل اثنين فعليه إثمهما, ومن فعل ثلاثة فعليه إثمهن, فهذا وجه التضعيف.

النفاق:

قال الله عز وجل: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) [التوبة:١٠٢] قال العلامة السعدي رحمه الله: (ستعذبهم مرتين) يحتمل أن التثنية على بابها, وأن عذابهم عذاب في الدنيا, وعذاب في الآخرة....ويحتمل أن المراد سنغلظ عليهم العذاب, ونضاعفه عليهم ونكرره.

عذاب الدنيا لا يقارن بعذاب الآخرة

الإنسان مهما حصل لهم من أنواع العذاب في الدنيا فلا يقارن بعذاب الآخرة, فعذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا, قال الله عز وجل: (لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق) [الرعد: ٣٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (ولعذاب الآخرة أشق) أي: المدخر مع هذا الخزي في الدنيا (أشق) أي من هذا بكثير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: (إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة) وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه. فإن عذاب الدنيا له انقضاء, وذاك دائم أبداً في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفاً, ووثاق لا يتصور كثافته وشدته, كما قال تعالى: (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ* وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ) [الفجر: ٢٥-٢٦]

وقال سبحانه وتعالى: (كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) [القلم:٣٣] قال العلامة السعدي رحمه الله: (ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا. (لو كانوا يعلمون) فإن من علم ذلك, أوجب له الانزجار عن كل سبب يوجب العقاب, ويحرم الثواب.

وقال الله عز وجل: (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) [البقرة:١١٤] قال العلامة العثيمين رحمه الله: من فوائد الآية: "أن عذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا ...فيجب على المؤمن أن يكون شعوره بعذاب الآخرة أشد من شعوره بعذاب الدنيا.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهون أهل النار عذابًا لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منهما دماغه)؛ [متفق عليه]، وعند مسلم: (ما يُرَى أنَّ أحدًا أشدُّ منه عذابًا، وإنَّهُ لأهونُهُم عذابًا)

ليتفكر العبد المسلم في أشدِّ أنواع العذاب في الدنيا، الذي يؤدي إلى موت الإنسان عندما يُلقى في ماءٍ حار يَحرقه، ومع ذلك فهو أهونُ من عذاب الآخرة، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَما كانت الليلة التي أُسرِي بي فيها، وجدتُ رائحة طيبة، فقلتُ: ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل ؟

قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون، وأولادها،

قلتُ: ما شأنها ؟

قال: بينما هي تمشطُ ابنة فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي؟

فقالت: لا، ولكن ربي وربكِ ورب أبيك الله،

قالت: وإن لك ربًّا غير أبي ؟

قالت: نعم،

قالت: فأُعلِمهُ ذلك ؟

قالت: نعم، فأعلمتهُ، فدعا بها,

فقال: يا فلانة، ألك رب غيري ؟

قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر بنقرة من نحاس، فأُحميت ثم أخذ أولادها يلقون فيها واحدًا واحدًا، فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قالت: أُحبُّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، فتدفنها جميعًا، قال: لك ذلك علينا، فلم يزل أولادها يلقون في النقرة، حتى انتهى إلى ابن لها رضيع، فكأنها تقاعَست من أجلِه، فقال لها: يا أُمَّه، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة؛ [أخرجه ابن حبان، وأحمد في المسند].

وليتفكر العبد المسلم في أشدِّ أنواع العذاب في الدنيا، الذي يؤدي إلى موت الإنسان بأن يقتل رجمًا بالحجارة مثل ما يُفعَل بالزاني المحصن فهو موت بطيء يتألم منه مَن وقَع عليه قبل أن يموت ومع ذلك فهو أهونُ من عذاب الآخرة، ففي الحديث أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله لو أن أحدنا رأى امرأته على فاحشة كيف يصنع ؟إن تكلم تكلَّم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على أمر عظيم، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يجُبه، فلما كان بعد ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن الذي سألتك عنه قد ابتليتُ به، فأنزل الله هذه الآيات : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٦ – ١٠]، فدعا الرجل فتلا الآيات عليه وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقال: لا والذي بعثك بالحق ما كذبت عليها، ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

وعذاب الدنيا، مهما كانت شدته ومُدته، فعذاب الآخرة أشدُّ منه وأبقى وأكبر؛ قال الله عز وجل: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٤]، وقال الله جل وعلا: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٢٧]، وقال الله عز وجل: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٦].

من أسباب العذاب

ومن الإعمال الموجبة للعذاب التي جاءت به نصوص الكتاب والسنة, ما يلي:

الكفر والشرك بالله:

وقال الله عز وجل: (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما) [النساء:٥٦] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وقوله: (آياتنا) يشمل الآيات الكونية والآيات الشرعية, فمن الكفر بالآيات الشرعية: تكذيب الرسل, وعدم الالتزام بما جاءوا به من الشرائع, ومن الكفر بالآيات الكونية: أن ينسب هذا الكون إلى غير الله أو يقال: إن أحداً أعان الله فيه, أو يقال: إن أحداً له فيه شرك, فكل هذا من التكذيب بالآيات. ومن ذلك إنكار أن يكون الكسوف وقع إنذاراً من الله وتخويفاً, لأن بعض الناس يقولون: إن الكسوف أمر عادي, وليس من أجل أن يخوف الله به العباد, وهذا يعتبر نوعاً من الكفر, وليس كفراً مخرجاً من الملة, لكنه نوع من الكفر

وقال الله عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) [البقرة:١٦٥-١٦٦]

وقال الله عز وجل: (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) [سبأ:٨] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: أي: لا يصدقون بها ويعترفون, أي: لا يؤمنون بوجودها ولا يؤمنون بما يحصل فيها, واليوم الآخر يدخل فيه كل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت, فكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت كفتنة القبر ونعيمه وعذابه فإنها داخلة في الآخرة.

الصد عن سبيل الله, والدعوة إلى الكفر والضلال:

قال الله عز وجل: (**ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق**) [الحج:٩] قال العلامة السعدي رحمه الله: (ليضل) الناس, أي: ليكون من دعاة الضلال, ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال, ثم ذكر عقوبتهم الدنيوية والأخروية, فقال: (له في الدنيا خزي) أي: يفتضح هذا في الدنيا قبل الآخرة, فإنك لا تجد داعياً من دعاة الكفر والضلال, إلا وله من المقت بين العالمين واللعنة والبغض والذم ما هو حقيق به, وكلّ بحسب حاله.

قال الله عز وجل: (**والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم**) [سبأ:٥] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: هؤلاء يسعون في إبطال آيات الله تعالى أحياناً بالصراع المُسلح, يعني يهاجمون الديار ويقاتلونهم حتى يردوهم عن دينهم, وأحياناً بالسلاح الفكري, فيبثون فيهم الشبهات في دينهم, في نبيهم, في ربهم, ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً, وأحياناً يسعون في ذلك بالشهوات, فيبثون في الناس حُبَّ اللهو والشهوة. ومن هذا ما تبثه وسائل الإعلام الخبيثة في الدول الكافرة ومن تشبهت بها, فتجدهم يعون إلى أسافل الأخلاق, يدعون بالقلم وبالصورة, فيُصورن النساء الفاتنات وعلى صفة مُزرية _ والعياذ بالله تعالى _ ويكتبون بالدعوة إلى ذلك.

وقال سبحانه وتعالى: (**إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**) [ص:٢٦] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية: أن الضالين عن سبيل الله متوعدين بهذا الوعيد (**لهم عذاب شديد**) أي: قوي, ويتفرع من هذه الفائدة الحذر من الضلال عن سبيل الله.

أذيّة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم:

قال الله عز وجل: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) [الأحزاب: ٥٧] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله تعالى: (إن الذين يؤذون الله) يؤذون الله بوصفه بالعيوب التي لا تليق به, مثل قول بعضهم عن الله تعالى: فقير, ومثل: سبِّ الدهر, والله تعالى يقول: (يُؤذيني ابن آدم يسُب الدهر) ومثل أن يقولوا: إن الله تعالى اتخذ صاحبه أو ولداً, أو إن الله تعالى لما خلق السموات والأرض تعب واستراح وما أشبه ذلك,...ومنه إنكار أسمائه وصفاته, لأن هذا – لا شك – سلب للكمال عنه فيتضمن النقص...وإما إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون بالقول وبالفعل, فبالقول: أن يوصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون...وكذلك إيذاء الرسول بالفعل ما صنعت قريش به صلى الله عليه وسلم حين أتوا بسلى الناقة وهو ساجد في المسجد الحرام أما بيت الله عز وجل فوضعوا سلى الناقة على ظهره وهو ساجد, وأي أذية أبلغ من هذا ؟...وكذلك من الأذية ما ذكروا أنهم كانوا يُلقون الأنتان والقاذورات على عتبه بابه صلى الله عليه وسلم في مكة حتى إنه كان يقول: (أيُّ جوار هذا ؟) يعني: لو كنت جاراً لكم ولست منكم لم تفعلوا بي هذا الفعل ! فهؤلاء الذين يؤذون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لعنهم الله تعالى في الدنيا والآخرة _والعياذُ بالله – يعني: أبعدهم الله عن رحمته في الدنيا وفي الآخرة, لأن اللعن بمعنى: الطرد والإبعاد عن رحمة الله...العذاب المهين كُلُّنا يعرف أنه في النار, لأنها هي التي عذابها مهين

التصوير: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أشدِّ الناس عذاباً يوم القيامة, الذين يصورن هذه الصورة) [أخرجه البخاري]

الإعراض والاستكبار عن آيات الله عز وجل:

قال الله عز وجل: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ* يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الجاثية:٧-٨]

وقال الله عز وجل: (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم) [لقمان:٧] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: الوعيد الشديد على من إذا تُليت عليه آيات الله سبحانه وتعالى ولى مُستكبراً.

الاستهزاء والاستهانة بالقرآن الكريم:

قال الله عز وجل: (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) [الجاثية:٩] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذه سخرياً وهزواً (أولئك لهم عذاب مهين) أي في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به.

إرادة الظلم والإلحاد في الحرم:

قال الله عز وجل: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) [الحج:٢٥] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (ومن يرد فيه بإلحاد) أي: يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار, وقوله (بظلم) أي: عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول.

قال العلامة السعدي رحمه الله: الحال أن المسجد الحرام, من حرمته واحترامه وعظمته, أن من يرد فيه بإلحاد بظلم, نذقه من عذاب أليم, فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد في الحرم موجب للعذاب.

الرياء:

قال الله عز وجل: (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد) [فاطر:١٠] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال مجتهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب: هم المراؤون بأعمالهم, يعني يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى, وهو بغضاء إلى الله عز وجل يراؤون بأعمالهم, (ولا يذكرون الله إلا قليلاً) وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون, والصحيح أنها عامة, والمشركون داخلون بطريق الأولى.

ظلم الناس, والبغي في الأرض:

قال الله عز وجل: (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) [الشورى: ٤٢] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (على الذين يظلمون الناس) سواء بأموالهم أو دمائهم أو أعراضهم,...وقوله: (ويبغون في الأرض بغير الحق) أي: يعتدون فيها, ويتجاوزن الحد,...ومن فوائد الآية: تهديد أولئك الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق بالعذاب الأليم

معصية الله عز وجل وتعدي حدوده:

قال الله عز وجل: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) [النساء:١٤]

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة أن من جمع بين الأمرين: المعصية, وتعدي الحدود, فإنه يُدخل النار, ولكن هل هو دخول أبدي أو دخول مؤقت؟ الجواب: أن يقال: حسب المعصية....فالعاصي معصية مطلقة, والمتعدي للحدود تعدياً مطلقاً, يدخل النار ولا يدخل الجنة, والذي جمع بين المعصية والطاعة: إن غلبت الطاعة لم يدخل النار وإن غلبت المعصية دخل النار بقدر ذنبه وخرج منها

قتل المؤمن عمداً:

قال الله عز وجل: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء:٩٣] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: في هذه الآية الكريمة دليل على أن قتل المؤمن عمداً من كبائر الذنوب, لورود الوعيد عليه,...ولكن من قتل مؤمناً متعمداً وتاب تاب الله عليه.

كتم العلم, وعدم بيانه إلا لغرض دنيوي:

قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) [البقرة:١٧٤] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: هذا الوعيد على من جمع بين الأمرين: (يكْتُمُونَ), و(يشْتَرُونَ) فأما من كتم بدون اشتراء, أو اشترى بدون كتم, فإن الحكم فيه يختلف.

قال الله: (**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون**) [آل عمران:١٨٧] قال ابن كثير: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم وأن ينوهوا بذكره في الناس, فيكونوا على أهبة من أمره, فإذا أرسله الله تابعوه, فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالطفيف, والحظ الدنيوي السخيف, فبئست الصفقة صفقتهم وبئست البيعة بيعتهم, وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم, فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً, فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: وجوب بيان العلم على أهل العلم, فيبنوا العلم الذي آتلهم الله, ولم يذكر الله عز وجل الوسيلة التي يحصل بها البيان, فتكون على هذا مطلقة راجعة إلى ما تقتضيه الحال, قد يكون البيان بالقول, وقد يكون البيان بالكتابة, وقد يكون في المجالس العامة, وقد يكون في المجالس الخاصة, على حسب الحال....والواجب البيان حتى عند الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء, بل إن بيان الحق عندهم يكون أوجب, وكلمة الحق عند السلطان الجائر من أفضل الجهاد.

محبة الإنسان أن يُحمد بما لم يفعل:

قال عز وجل: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) [آل عمران:١٨٨] قال السعدي رحمه الله: (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي: بالخير الذي لم يفعلوه, والحق الذي لم يقولوه. فجمعوا بين فعل الشر وقوله, والفرح بذلك, ومحبة أن يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه. (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي: بمحل نجوة منه وسلامه, بل قد استحقوه, وسيصيرون إليه, ولهذا قال: (ولهم عذاب أليم) ويدخل في هذه الآية الكريمة, أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم, ولم ينقادوا للرسول, وزعموا أنهم المحقون في حالهم ومقالهم, وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية وفرح بها ودعا إليها, وزعم أنه محق وغيره مبطل, كما هو الواقع من أهل البدع

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي: يحبون أن الناس يحمدونهم على شيء لم يفعلوه مثل: أن يتظاهروا للناس بالصلاح من أجل أن يثني الناس عليهم ولو لم يفعلوا الصلاح.

الذين يعذبون الناس في الدنيا:

عن هشام بن حكيم رضي الله عنه, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى يُعذبُ يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا.) [أخرجه مسلم]

منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه, والسعي في خرابها:

قال الله عز وجل: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) [البقرة:١١٤] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية: أن عقوبة من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها, الخزي والعار في الدنيا, والعذاب العظيم في الآخرة,....ويشمل الخراب الحسي والمعنوي, لأنه قد يتسلط بعض الناس – والعياذ بالله – على هدم المساجد حساً بالمعاول, والقنابل, وقد يخربها معنى بحيث ينشر فيها البدع والخرافات المنافية لوظيفة المساجد.

الاعتداء بعد انهاء القصاص أو أخذ الدية:

قال الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) [البقرة:١٧٨] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فله عذاب من الله أليم موجع شديد. وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: المعتدي بعد انتهاء القصاص, أو أخذ الدية متوعد بالعذاب الأليم, سواء كان من أولياء المقتول, أو من القاتل, لقوله تعالى: (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)

(منع ابن السبيل فضل ماء الطريق) (مبايعة الإمام من أجل الدنيا).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا الدنيا، فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه الرجل ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ٧٧]) وفي رواية: (ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم) [متفق عليه].قال ابن حجر رحمه الله: المراد بابن السبيل المسافر المحتاج إلى الماء.. وخصَّ بعد العصر بالحلف لشرفه بسبب اجتماع ملائكة الليل والنهار، وأما الذي بايع الإمام بالصفقة المذكورة فاستحقاقه هذا الوعيد لكونه غشَّ إمام المسلمين ومن لازم ذلك غش الإمام غش الرعية لما فيه من التسبب إلى إثارة الفتنة ولاسيما إن كان ممن يتبع على ذلك.

(الزنى من الشيخ) (الكذب من الملك) (الكبر من الفقير).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر الله إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر) [أخرجه مسلم] قال النووي رحمه الله: وأما تخصيصه صلى الله عليه وسلم...بالوعيد المذكور فقال القاضي عياض: سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده وإن كان لا يعذر أحد بذنب لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواعي معتادة أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها.

()-

(إسبال الإزار للخيلاء) (إنفاق السلعة بالحلف الكاذب) (المنُّ بالعطية).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبلُ إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منَّهُ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) [أخرجه مسلم] والمقصود بإسبال الإزار إذا كان للخيلاء، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: وهذا الحديث مطلق لكنه مقيد بحديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه) ويكون الإطلاق في حديث أبي ذر مقيداً بحديث ابن عمر رضي الله عنهما، وإذا كان خيلاء فإن الله لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب عظيم.

قذف المؤمنات المحصنات الغافلات:

قال عز وجل: (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) [النور:٢٣]

النياحة:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (النياحة على الميت من أمر الجاهلية, وإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت, فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران, ثم يغلي عليها بدروع من لهب النار) [أخرجه مسلم]

الكذب:

قال الله (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) [البقرة:١٠] قال العثيمين رحمه الله من فوائد الآية: ذم الكذب, وأنه سبب للعقوبة

قطع الطريق والإفساد في الأرض:

قال الله عز وجل: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) [المائدة:٣٣] قال العلامة السعدي رحمه الله: المحاربون لله ولرسوله, هم الذين بارزوه بالعداوة, وأفسدوا في الأرض, بالكفر, والقتل, وأخذ الأموال, وإخافة السبل, والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام قطاع الطريق, الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي, فيغصبون أمواهم, ويقتلونهم, ويخيفونهم, فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها...(ذلك) النكال (لهم خزي في الدنيا) أي: فضيحة وعار.(ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فدل هذا أن قطع الطريق من أعظم الذنوب موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة, وأن فاعله محارب لله ولرسوله.

**ومن تاب من هذه الذنوب تاب الله عليه قال الله عز وجل: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) [الزمر:٥٣] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها, ورجع عنها, وإن كانت مهما كانت, وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر,...ولا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت, فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال تعالى: (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) [التوبة:١٠٤]وقال سبحانه تعالى:(ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) [النساء:١١٠]

وقال جلا وعلا في حق المنافقين: (من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما * إلا الذين تابوا وأصلحوا) [النساء:١٤٥-١٤٦] وقال جل جلاله: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم)[المائدة:٧٣] ثم قال جلت عظمته: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) [المائدة:٧٤] وقال تعالى: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا)[البروج:١٠] قال الحسن البصري رحمة الله عليه: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

ومن مات ولم يتب من هذه الذنوب فهو تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر له, وإن شاء عذبه, ما عدا من كان مشركاً قال عز وجل: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) [النساء:٤٨] قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: عظم الشرك, وأن الله سبحانه لا يغفره لأنه أعظم ذنب, فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم ؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) وما دون الشرك تحت المشيئة, لقوله: (ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاءُ) وليس مجزوماً بمغفرته, ولا مجزوماً بالمؤاخذة عليه, وإنما هو تحت المشيئة. ويتفرع على هذه الفائدة: ردّ كلام المسوفين, الذين يفعلون ما يفعلون من المعاصي, ثم يقولون: إن الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء, فنقول لهم: ما الذي أدراك أن تكون أنت ممن شاء الله أن يغفر لك.؟

فلنبادر إلى التوبة من جميع الذنوب, واجتناب أسباب العذاب, قال العلامة السعدي رحمه الله: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) [إبراهيم:٤٤] أي: صف لهم تلك الحال, وحذرهم من الأعمال الموجبة للعذاب.

والله جل جلاله توعد العاصين بالعذاب ليكوناً ذلك دافعاً لهم على ترك المعاصي, قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: الوعيد على المعصية من أسباب العدول عنها, بحيث لا يقدمُ عليها, وإذا أقدم استعتب وتاب.

الكافر يشترى العذاب

الكافر يشتري الكفر, الذي سيكون عقابه الخلود الدائم في النار في الآخرة, قال الله عز وجل: (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم) [آل عمران:١٧٧] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: بيان شدة رغبة الكفار في الكفر لأنهم اشتروا الكفر اشتراء, والمشتري طالب للسلعة, فهم يأخذون الكفر عن رغبة....وهذه أخسرُ صفقة على وجه الأرض أن يأخذ الإنسان الكفر بالإيمان طائعاً طيبة به نفسه والعياذ بالله...وكان الأجدر بهم أن يتخذوا وقاية من النار لا وسيلة إليها

نعم إنها أخسر صفقة على وجه الأرض, وسوف يندمون على هذا يوم لا ينفع الندم, وذلك عندما يرون العذاب _ أجارنا الله من عذابه وغضبه _ قال الله عز وجل: (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب)[يونس:٥٤] ندموا على ما قدموا, ويتمنون أن لو كانوا من المهدتين, قال الله عز وجل: (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) [القصص:٦٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قوله: (لو أنهم كانوا يهتدون) أي: فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا.

ويطلبون الرجوع إليها ليعملوا غير الذي كانوا يعملون, قال سبحانه وتعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) [الأنعام:٢٧] وهم كذبة في ما قالوا, بل قصدهم أن يدفعوا عن أنفسهم العذاب, فالكاذب في الدنيا, كاذب والآخرة – نسأل الله السلامة _ ولهذا قال الله عز وجل عنهم: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) [الأنعام:٢٨]

وإذا يئسوا من العودة إلى الدنيا, وأيقنوا بوصول العذاب إليهم, تمنى أحدهم لو يفتدي من عذاب الله يوم القيامة بملء الأرض ذهباً, وبأعز ما يملك, قال الله عز وجل : (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) ([الزمر:٤٧]

وقال الله عز وجل: (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) [المائدة:٣٦] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أ ي لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهباً وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به, وتيقن وصوله إليه ما تقبل ذلك منه, بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص.

وعندما يمسهم أدنى شيء من العذاب, يعترفون بظلمهم, قال الله عز وجل: (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) ([الأنبياء:٤٦] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم, وأنهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا.

ولكن هذا الاعتراف والندم جاء متأخراً, فالعذاب محيط بهم, فلم يبق أمامهم ألا أن يتمنوا أن لو كانوا تراباً, قال الله عز وجل: (إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) [النبأ:٤٠] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: أي: ليتني لم أخلق, أو ليتني لم أبعث, أو إذا رأى البهائم التي يقضي الله بينها, ثم يقول: كوني تراباً فتكون تراباً.

قوة الله عز وجل وشدة عقابه

من أسماء الله الحسنى: "القوي" قال الله سبحانه وتعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز﴾ [الحج:٤٠]فالله جل جلاله قوي, لا يغلبه غالب, ولا يعارضه معارض, ولا ينازعه منازع, ولا يعجزه شيء, ولا يخرج عن قبضته مخالف أو طائع, له النفوذ المطلق, والسلطان الكامل, والتصرف التام, لا يعتريه ضعف أو قصور, ولا عجز أو فتور, وهو القوي الذي لا تنقطع قوته, فله سبحانه وتعالى القوة الكاملة من جميع الوجوه, قال جل شأنه: ﴿ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٦٥] قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله:أي: كامل القوة"

وهو سبحانه وتعالى شديد القوة, قال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨] قال الإمام الطبري رحمه الله: يعني بالمتين: الشديد.

ومن شواهد قوته جل جلاله: إهلاك الأمم الطاغية, قال الله تبارك وتعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ ﴾ [هود:٦٦] قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية...ومن كمال قوته: أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية, بشيء يسير, وسوط من عذابه"

لقد أنزل بهم سبحانه أنواع العقوبات الشديدة وصنوف المُثلات العظيمة والآيات في القرآن في بيان ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ كَدَأبِ آلِ فِرعَونَ وَالَّذينَ مِن قَبلِهِم كَفَروا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنوبِهِم إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَديدُ العِقابِ ﴾[الانفال:٥٢]

()——

قال الحافظ بن كثير رحمه الله:﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنوبِهِم ﴾ أي بسبب ذنوبهم أهلكهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَديدُ العِقابِ ﴾ أي لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب

وقال عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [غافر:٢١-٢٢] وإذا سار الإنسان بقلبه وقرأ تاريخ الأمم السابقة عَلِمَ كيف أحلَّ الله بهذه الأمم الظالمة المكذبة العذاب الشديد, وهي التي كانت تدعي القوة في الأبدان, والقوة في الصناعة, والقوة في الآثار, فما أغنى عنهم ذلك شيئاً أمام قوة الله, قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: أن قوة الله سبحانه وتعالى فوق كل قوة, فإنه قال: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ومع ذلك أخذهم الله عز وجل, لأن الله إذا أراد شيئاً قال له: كُن. فيكون, لا يحتاج إلى أحد يُساعده, ولا يحتاج إلى صُنع قنابل أو مدافع, بل: كُن. فيكون, انظروا إلى عاد افتخروا بقوتهم, فأهلكهم الله تعالى بألف الأشياء, سخر عليهم الريح, ولم يُسخرها لهم, بل سخرها عليهم, والريح من ألطف الأشياء فدمرتهم.﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ حتى كانوا كأعجاز نخل خاوية, يقولون: إن الريح تحمل الواحد منهم حتى يكون في عنان السماء, ثم ترده إلى الأرض, فينقلب مُنحنياً كأنه عجُز نخل خاوية, وأعجاز النخيل إذ رأيتموها تجد النخل قد تقوست, هؤلاء الذين كانوا أشداء أقوياء يقفون على أقدامهم, أصبحوا كأنهم أعجاز نخل خاوية.

()

وهذا فرعون قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:٥١] أهلكه الله بأن أخرجه من مصر التي كان يفتخر بها باختياره, خرج مختاراً, بل خرج وكأنه غانم, كأنه رابح في المعركة, ثم أهلكه الله بجنس ما يفتخر به, أهلكه بالماء ليتبين أن القوة قوة الله سبحانه وتعالى وأن الله أشد من هؤلاء قُوة.

ومن قوة الله جل جلاله تعدد أنواع العذاب في الدنيا لمن عصاه, قال الله عز وجل: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠]

ومن قوة الله سبحانه شدة العقاب لمن عصاه, قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ ﴾ [الأنفال:٥٢] قال العلامة العثيمين رحمه الله: فيا ويح من خالف أمر ربه, فإنه سيتعرض لشدة العذاب من ذي قُوة لا يلحقها ضعف"

وهذا ما يجعل المسلم يجاهد نفسه في عدم عصيانه, لئلا يحلَّ به ما حلَّ بغيره من العذاب الشديد, فالإنسان مهما كابر وعاند, فهو مخلوق ضعيف, قال عز وجل: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] قال العلامة العثيمين رحمه الله: الإنسان خُلِقَ ضعيفاً, أي: خلقه الله عز وجل ضعيفاً في كلِّ أموره: ضعيفاً في جسمه ضعيفاً في إرادته ضعيفاً في علمه ضعيفاً في كل شيء.

اللهم ارحم ضعفنا واجعلنا في قلوبنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك

عذاب الله قريب

عذاب الله قريب, فالإنسان لا يدري متى يموت, ومن مات جاءه العذاب, قال سبحانه وتعالى: (إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) [النبأ:٤٠] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: هذا العذاب الذي أنذرنا الله قريب, ليس بين الإنسان وبينه إلا أن يموت, والإنسان لا يدري متى يموت, قد يصبح ولا يمسي, أو يمسي ولا يصبح, ولهذا كان علينا أن نحزم في أعمالنا, وأن نستغل الفرصة قبل فوات الأوان,...فلا بد من المبادرة بالتوبة لأنك لا تدري في أي وقت يحضرك الموت, ألم تعلم أن من الناس من نام على فراشه في صحة وعافية ثم حمل من فراشه إلى سرير تغسيله ؟ ألم تعلم أن بعض الناس جلس على كرسي العمل يعمل ثم حمل من كرسي العمل إلى سرير الغسل ؟! كل هذا واقع, لذا يجب أن تبادر بالتوبة قبل أن تغلق الأبواب.

لا يقبل الله من العبد فداء عن العذاب

فإن لم نفعل فسوف ندم يوم لا ينفع الندم. قال سبحانه وتعالى: (بَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ) [المعارج:١١-١٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض, وبأعز ما يجده من المال, ولو بملء الأرض ذهباً, أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده, يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به, ولا يقبل منه.

المبادرة إلى التوبة والإنابة قبل الحسرة والندم

قال الله عز وجل: (إن عذاب ربك كان محذورا) [الإسراء: ٥٧] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: ينبغي أن يحذر منه, ويخاف من وقوعه وحصوله, عياذاً بالله منه.

قال تعالى: (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل) [الشورى:٤٤] قال العلامة السعدي رحمه الله: يظهرون الندم العظيم, والحزن على ما سلف منهم(يقولون هل إلى مرد من سبيل)أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل وهذا طلب للأمر المحال, الذي لا يمكن

وقال الله عز وجل: (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) [سبأ:٣٣] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: والرؤية هنا بصرية, أي: عاينوه بأعينهم وأسروا الندامة, لكن والله لا ينفع الندم حينذاك, فالندم حين يرى الإنسان العذاب لا ينفعه, وإنما ينفع قبل أن يرى العذاب

وقال الله عز وجل: (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) ([الزمر: ٥٦_٥٨] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة, ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطعين لله عز وجل.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: من فوائد الآية الكريمة: بيان مآل المُفرط وهو التحسر وهو التندم مع الغم,...هؤلاء يتمنون الرجوع إلى الدنيا إذا رأوا العذاب...يتمنون الرجوع ليكونوا من المحسنين.

أعمال تنجي من عذاب الله

قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) **[الصف:١٠-١١]** قال العلامة السعدي رحمه الله: هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين, لأعظم تجارة وأجل مطلوب, وأعلى مطلوب يحصل بها النجاة من العذاب الأليم...(تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به, المستلزم لأعمال الجوارح التي من أجلها الجهاد في سبيله. فلهذا قال: (وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ) بأن تبذلوا نفوسكم ونهجكم لمصادمة أعداء الإسلام, والقصد: دين الله, وإعلاء كلمته, وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب, فإن ذلك وإن كريهاً للنفوس, شاقاً عليها فإنه (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)."

الدعاء بالوقاية والنجاة من العذاب

قال الله عز وجل(وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) **[البقرة:٢٠١]** قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: جمعت هذه الدعوة كل خير....وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم وترك الشبهات والحرام. وقال العلامة السعدي رحمه الله: حسنة الآخرة, هي: السلامة من العقوبات في القبر والموقف والنار, وحصول رضا الله, والفوز بالنعيم المقيم , والقرب من الرب الرحيم, فصار هذا الدعاء أجمع دعاء وأكمله, وأولاه بالإيثار, ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به, والحث عليه.

وقال الله عز وجل: (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) [آل عمران:١٩١] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (فقنا عذاب النار) أي: يا من خلق الخلق بالحق والعدل, يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث, قنا من عذاب النار, بحولك وقوتك, وقضينا لأعمال ترضى بها عنا, ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم. وقال العلامة السعدي رحمه الله: (فقنا عذاب النار) بأن تعصمنا من السيئات, وتوفقنا للأعمال الصالحات, لننال بذلك النجاة من النار.

وعباد الرحمن أخبر الله عز وجل عنهم أنهم يدعون: (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) [الفرقان:٦٥] قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: يخبر تعالى أن من صفاتهم أنهم يتوسلون إلى الله عز وجل بربوبيته ليصرف عنهم عذاب جهنم.

والمسلم ينبغي له أن يستجير من خزي الدنيا وعذاب الآخرة, فعن بشر بن أرطاة رضي الله عنه, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: (اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها, وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة) [أخرجه الإمام أحمد, وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: هذا حديث حسن]

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
أنواع العقوبة والعذاب في الدنيا	٤
العذاب القلبي والألم النفسي	٤
الأعراض عن دين الله	٤
الحدود	٤
زوال النعم	٥
المصائب في البدن والأهل والمال	٥
أسباب العقوبات العامة	٦
ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٦
كثرة وشيوع الذنوب والمعاصي	٨
ترك الجهاد في سبيل الله	٩
استعجال العذاب	١٠
تأخر العقوبة والعذاب للإمهال والاستدراج	١٤
بغتة العذاب	١٤
العذاب عند الموت	١٧
عذاب القبر	١٨
عذاب يوم القيامة	٢٣

من ألوان العذاب في الآخرة	٢٣
الألم البدني	٢٣
الألم النفسي	٢٤
أوصاف العذاب في الآخرة	٢٦
عذاب الحريق, الهون, السموم, الأليم, شديد	٢٦
عذاب عظيم, مقيم, غليظ, عذاب السعير, مهين	٢٧
عذاباً نكراً, الحميم, عذاب الخلد	٢٨
ذنوب يعجل لفاعلها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة	٢٩
النفاق الاعتقادي, الكفر, محبة إشاعة الفاحشة	٢٩
الظلم, قطيعة الرحم, الخيانة, الكذب, التعدي على العباد	٣٠
ذنوب عقوباتها أشدّ من غيرها	٣١
قلة الداعي للذنب	٣١
إضلال الغير	٣٢
الجمع بين الشرك والقتل والزنا	٣٣
عذاب الدنيا لا يقارن بعذاب الآخرة	٣٤
من أسباب العذاب	٣٧
الكفر والشرك بالله	٣٧
الصد عن سبيل الله والدعوة إلى الكفر والضلال	٣٨
أذية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم, التصوير	٣٩

الأعراض والاستكبار عن آيات الله, الاستهزاء والاستهانة بالقرآن الكريم	٤٠
إرادة الظلم والإلحاد في الحرم	٤٠
الربا, ظلم الناس, البغي في الأرض, معصية الله عز وجل وتعدي حدوده	٤١
قتل المؤمن عمداً, كتم العلم وعدم بيانه إلا لغرض دنيوي	٤٢
محبة الإنسان أن يحمد بما لم يفعل	٤٣
الذين يعذبون الناس منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها	٤٤
الاعتداء بعد انتهاء القصاص أو أخذ الدية	٤٤
منع ابن السبيل فضل الماء, مبايعة الإمام من أجل الدنيا	٤٥
الزنى من الشيخ الكبير, الكذب من الملك, الكبر من الفقير	٤٥
إسبال الثياب للخيلاء, إنفاق السلعة بالحلف الكذب, المنّ بالعطية	٤٦
قذف المحصنات الغافلات, النياحة, الكذب	٤٦
قطع الطريق والإفساد في الأرض	٤٧
الكافر يشتري العذاب	٥٠
قوة الله عز وجل وشدة عقابه	٥٣
عذاب الله قريب	٥٥
لا يقبل الله من العبد فداء عن العذاب	٥٥
المبادرة إلى التوبة والإنابة قبل الحسرة والندم	٥٦
أعمال تنجي من عذاب الله	٥٧
الدعاء بالوقاية والنجاة من النار	٥٨